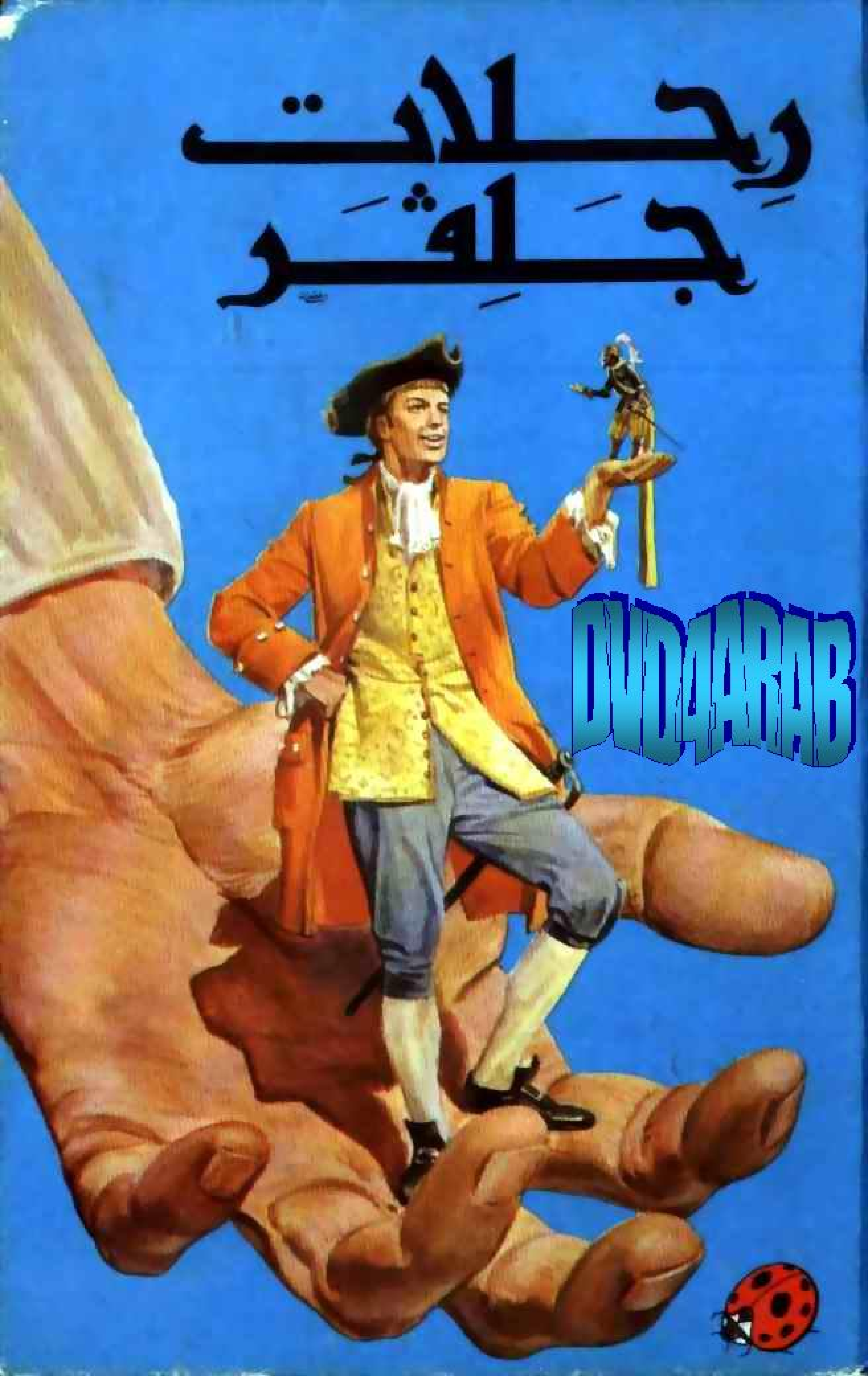

رِحلات
جَلِفَر
DVD4ARAB



بروبدنجناج
جوناثان سويفت ١٦٦٧ - ١٧٤٥
ليليپُوت
B
G
D
F
A
E

جُوناثان سويفْت (١٦٦٧ – ١٧٤٥) كَاتِبٌ سَاخِرٌ، مِنْ أُسْرَةٍ إنْكليزيَّةٍ عَرِيقَةٍ. تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي دَبْلِن (عَاصِمَةِ ايرْلَنْدَة) وبَدَأَ حَيَاتَهُ الْعَمَلِيَّةَ سِكْرتِيراً لِلْكَاتِبِ والسِّيَاسِيِّ الشَّهير السِيْر وِلْيَمْ تِمْپِل. وقد لَعِبَ سويفْت دَوْراً كَبيراً فِي ٱلْحَياةِ ٱلأَدَبِيَّةِ وٱلسِّياسِيَّةِ بِلَنْدَن، فِي عَهْدِ ٱلْمَلِكَةِ آنْ (١٧٠٢ – ١٧١٤). وَقَدِ ٱشْتُهِرَ بِأُسْلُوبِهِ ٱلتَّهَكُّمِيِّ ٱللَّاذِعِ، وخَاصَّةً فِي كِتَابَاتِهِ ٱلنَّثْرِيَّةِ. كَمَا ٱشْتُهِرَ بِنَزْعَتِهِ ٱلإِنْسَانِيَّةِ.

ومِنْ أَشْهَرِ أَعْمَالِهِ الْأَدَبِيَّةِ «رِحْلاتُ جِلِڤَر» (١٧٢٦)، ٱلَّتِي نَالَتْ شَعْبِيَّةً كَبِيرَةً فِي ٱلمائَتَيْنِ والْخَمْسِينَ ٱلسَّنَةَ الْأَخِيرَةَ، فِي جَمِيعِ أَرْجاءِ الْعالَمِ. وتمتازُ «رحلاتُ جِلِڤَر» ٱلأُسْطُورِيَّةُ بِواقِعِيَّةٍ قَصَصِيَّةٍ تَشُدُّ ٱلقارِئَ وتُمتِعُه. فمُغامَراتُ جِلِڤَر بين الأقزام في «ليليبوت» لا يُعادِلُها غَرابَةً إلاّ مُغامَراتُه بَيْنَ ٱلعَمالِقَةِ في «برُوبْدِنجْناج».

وقَد عَمِلَتْ رِيشَةُ ٱلفَنَّان مارتِنْ إيتْشِسُون على تَعزيزِ ٱلمُتْعَةِ بإِضْفاءِ جَوٍّ من ٱلحَيَوِيَّةِ وٱلواقِعِيَّةِ على ٱلبِيئَةِ ٱلَّتي حَدَثَتْ فيها هذِهِ ٱلمُغامَراتُ، وٱلنَّاسِ ٱلَّذينَ شَمَلَتْهُم.

إلَيْكَ أيُّها ٱلقارِئُ ٱلعَزِيزُ قِصَّةً تُضْحِكُكَ – ولكِنَّها سَتُثِيرُ لَدَيكَ إحساساتٍ وأفكاراً عَمِيقَةً.

© حقوق الطبع محفوظة
طبع في انكلترا
١٩٨٠



رِحلات جِلِڤَر

تـأليف : جوناثـان سـويفـت
اعدتها للسلسلة : مـاري سـتيوارت
صاغها بالعربية : وَجدي رزق غالي
وضع الرسوم : مـارتن اتشيسون

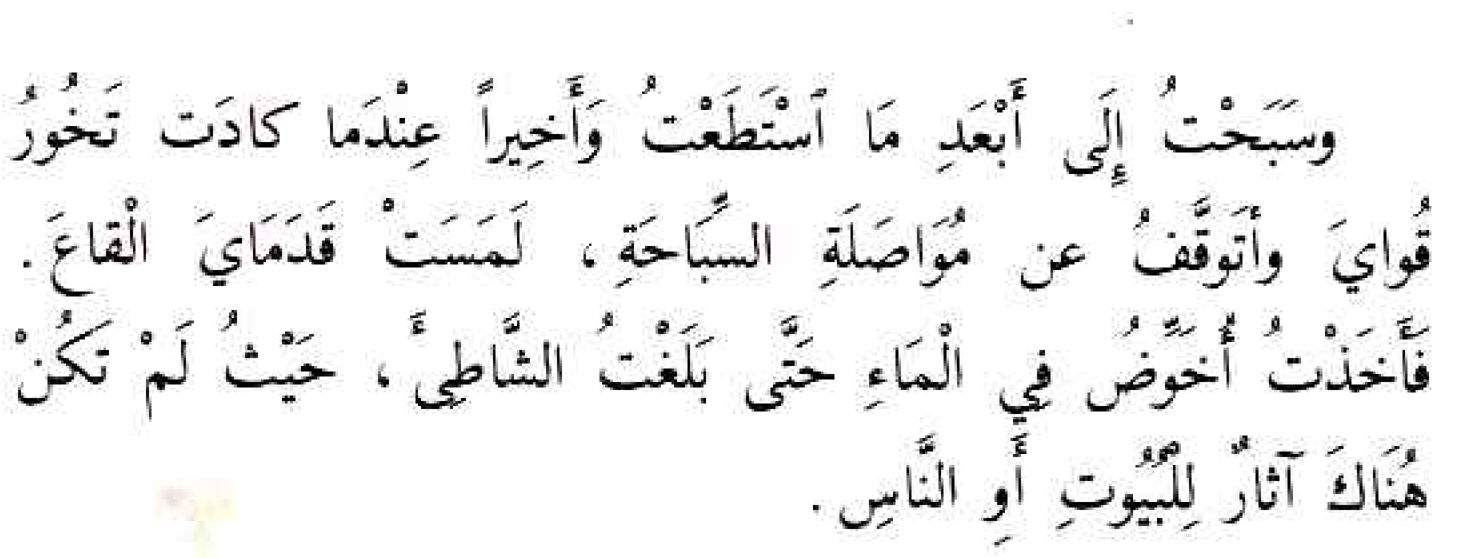
مَكتبة لبنان



بَدَأَتْ رِحْلاتِي في ٱلرَّابِعِ مِنْ مايو «أيّار» سَنَةَ ١٦٩٩ . فَوَدَّعْتُ زَوْجَتِي وطِفْلَيَّ ، وأَبْحَرْتُ مِنْ مَرفأ بِرِيسْتُول كَطَبِيبٍ مُرافِقٍ لِسَفِينَةٍ وُجْهَتُها البِحارُ ٱلْجَنُوبِيَّة .

وَقَدْ سارَتِ الْأُمُورُ سَيْراً حَسَناً في الْأَسابِيعِ الْقَلِيلَةِ الْأُولَى . ثُمَّ هَبَّت عَلَيْنا فجأةً عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، فَتَحَطَّمَتِ ٱلسَّفِينَةُ ، وكُنْتُ واحِداً مِنْ سِتَّةٍ مِنَ ٱلبَحَّارَةِ رَكِبُوا قارِباً صَغِيراً ، وَأَخَذْنا نُجَذِّفُ نَحْوَ جَزِيرَةٍ مُجاوِرَةٍ . إلاّ أنّ مَوْجَةً عارِمَةً عَصَفَت بِالْقارِبِ فَقَلَبَتْهُ ، وفُقِدَ رِفاقِي ٱلْخَمْسَةُ كُلُّهُم ، وبَقِيتُ وَحْدِي . أَنا : لِيمويلْ جَلِفَرْ .





وسَبَحْتُ إِلى أَبْعَدِ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَأَخِيراً عِنْدَما كادَت تَخُورُ قُوايَ وأَتَوقَّفُ عن مُواصَلَةِ السِّباحَةِ ، لَمَسَتْ قَدَمايَ الْقاعَ . فَأَخَذْتُ أَخُوضُ فِي الْماءِ حَتَّى بَلَغْتُ الشّاطِئَ ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ هُناكَ آثارٌ لِلْبُيُوتِ أَو النَّاسِ .

وَسِرْتُ قُدُماً حَوالَى نِصْفِ مِيلٍ ، لكِنِّي لَم أرَ أَحَداً . فَٱرْتَمَيْتُ مُنْهَكاً عَلَى العُشْبِ الْقَصِيرِ النَّاعِمِ ، وَاسْتَغْرَقْتُ فِي نَومٍ عَمِيق .

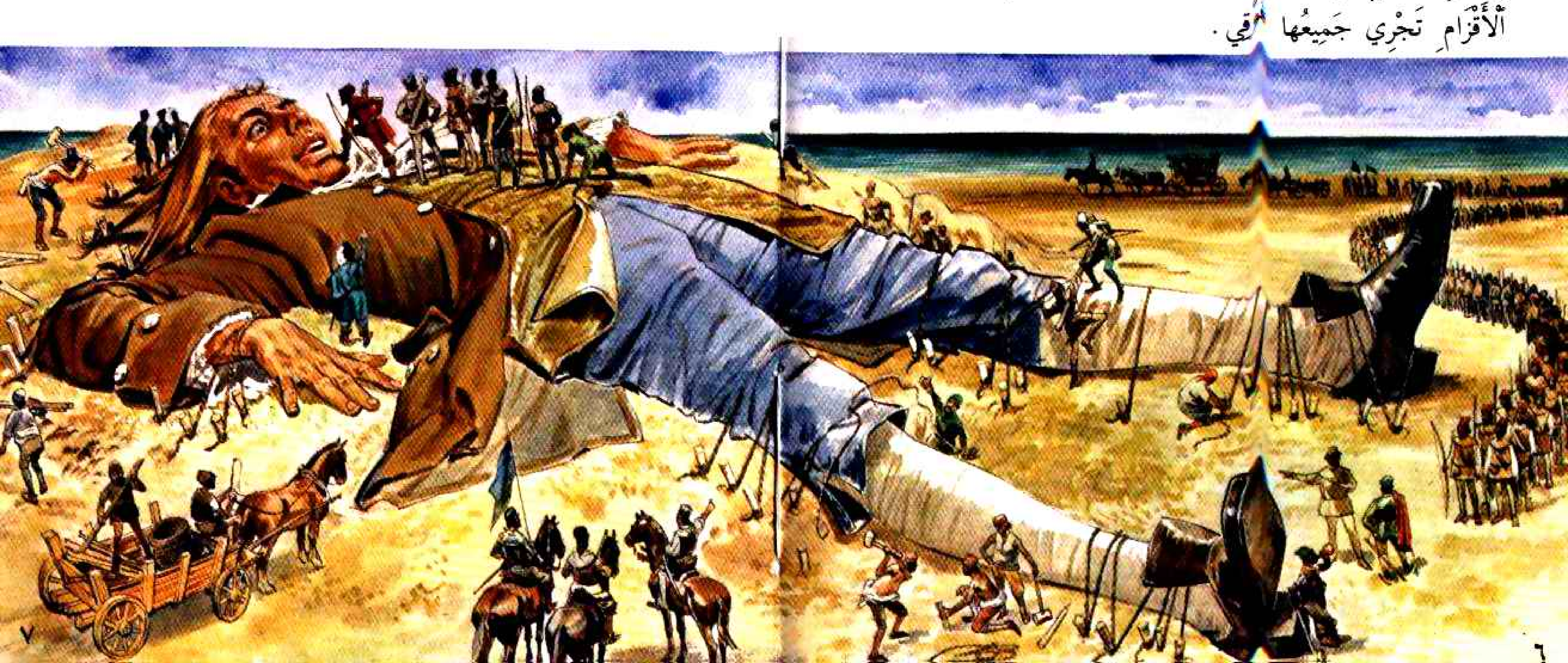


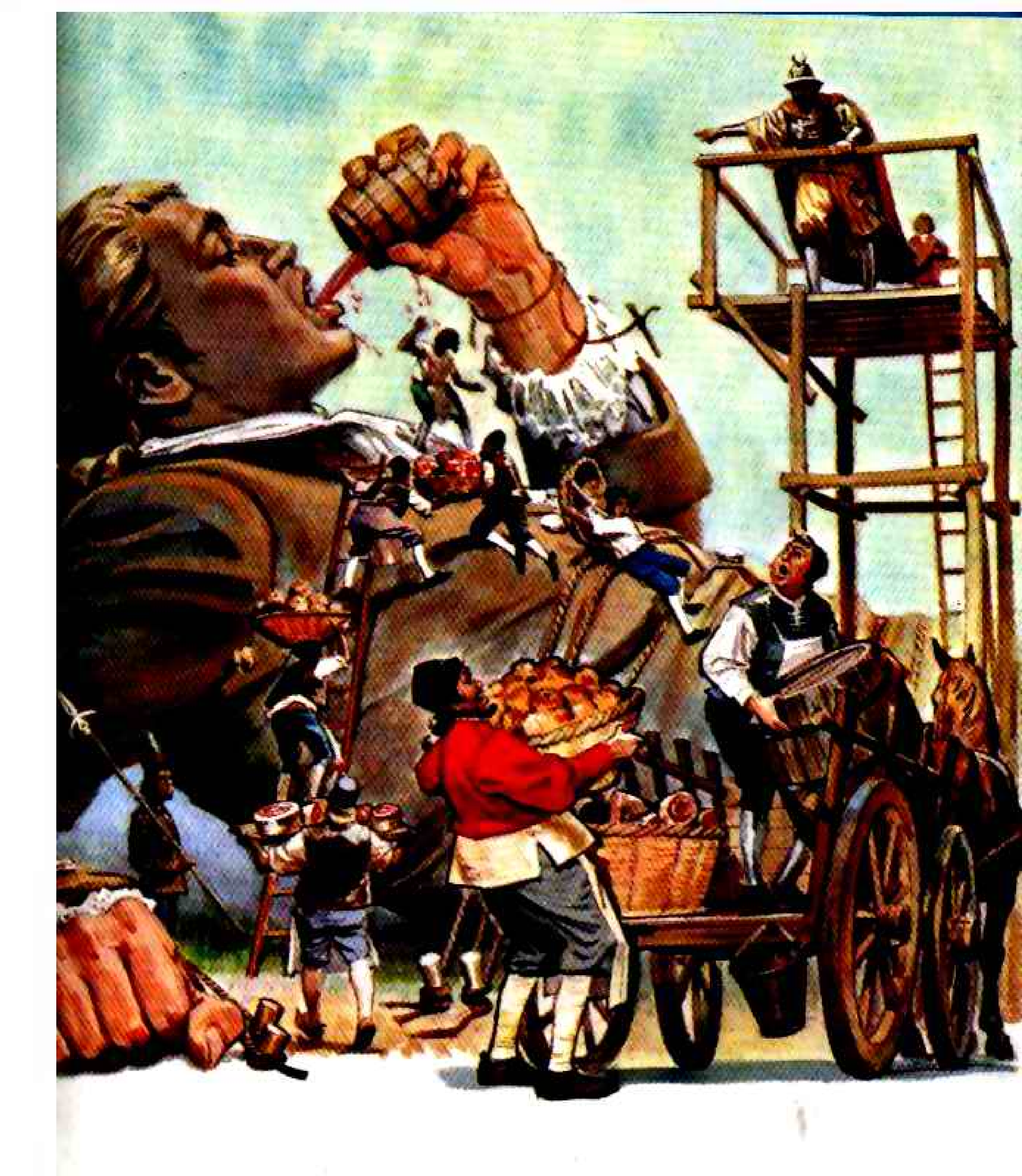
وَعِنْدَما اسْتَيْقَظْتُ كانَ الْوَقْتُ نَهاراً . وَظَلَلْتُ راقِداً بِلا حَراكٍ بُرْهَةً مُتَسائِلاً أَيْنَ أَنا ، ثُمَّ حاوَلْتُ أَنْ أَنْهَضَ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ تَحريكَ ذِراعَيَّ أَوْ ساقَيَّ أَوْ رَأْسِي ! لَقَدْ كُنْتُ مَشْدُوداً إِلَى الْأَرْضِ ! كَانَ هُنَاكَ طَنِينٌ بِالْقُرْبِ مِنِّي ، ولكِنِّي لَم أَسْتَطِعْ أَنْ أُحَدِّدَ مَصْدَرَهُ .

وَفَجْأَةً شَعَرْتُ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ فَوْقَ ساقِي الْيُسْرَى ، ثُمَّ مَشَى صَاعِداً فَوْقِي ، حَتَّى تَوَقَّفَ بِالقُرْبِ مِنْ ذَقَنِي . وَنَظَرْتُ إِلَى أَسْفَلَ بِقَدْرِ مَا اسْتَطَعْتُ (لأَنَّ شَعْرِي كانَ مَشْدُوداً إِلَى الْأَرْضِ) فَرَأَيْتُ قَزَماً ضَئِيلاً جِدّاً ، طُولُهُ أَقَلُّ مِنْ خَمسةَ عَشَرَ سَنْتِيمتراً ، مُمْسِكاً بِقَوْسٍ وَسَهْمٍ فِي يَدَيْهِ . عِنْدَئِذٍ بَدَأَتْ أَعْدادٌ كَبِيرَةٌ مِنْ هَؤُلاءِ الْأَقْزامِ تَجْرِي جَمِيعُها فَوْقِي .

وَمِنْ فَرْطِ دَهْشَتِي صِحْتُ مُزَمْجِراً ، فَتَراجَعُوا مَذْعُورِينَ وَتَساقَطُوا ، بَعضُهم فَوْقَ بَعضٍ ، مُحاوِلِينَ الْفِرارَ . وَاكْتَشَفْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّ بَعضاً مِنْهُمْ قَدْ تَأَذَّى بِالسُّقوطِ مِنْ فَوْقِ صَدْرِي .

وَاسْتَطَعْتُ قَطْعَ الْخُيُوطِ الَّتِي كانَتْ تَشُدُّ ذِراعِي الْيُسْرَى إِلَى الْأَرْضِ ، وحَلَلْتُ بَعْضاً مِن شَعْرِي لأَتَمَكَّنَ مِنْ تَحرِيكِ رَأْسِي . وَزَادَ ذلك مِنْ ذُعْرِ الْأَقْزامِ ، فَأَطْلَقُوا عَلَيَّ السِّهامَ . وسَقَطَ بَعْضُها عَلَى يَدَيَّ ، وبَعْضُها الآخَرُ عَلَى وَجْهِي ، فَوَخَزَتْنِي كالْإِبَرِ ، وَآذَتْ جِلْدِي حَيْثُما اسْتَقَرَّتْ .





وَتحَلَّقَ ٱلْأَقْزامُ عَن بُعْدٍ يُراقِبُونَني . وَعِنْدَما أَدْرَكُوا ، بَعْدَ بُرْهَةٍ ، أَنَّني لَنْ أُوذِيَهُمْ ، قَطَعُوا بَعْضَ قُيُودِي فَأَصْبَحْتُ أُحَرِّكُ رَأْسِي بِسُهولَةٍ أَكْثَرَ .

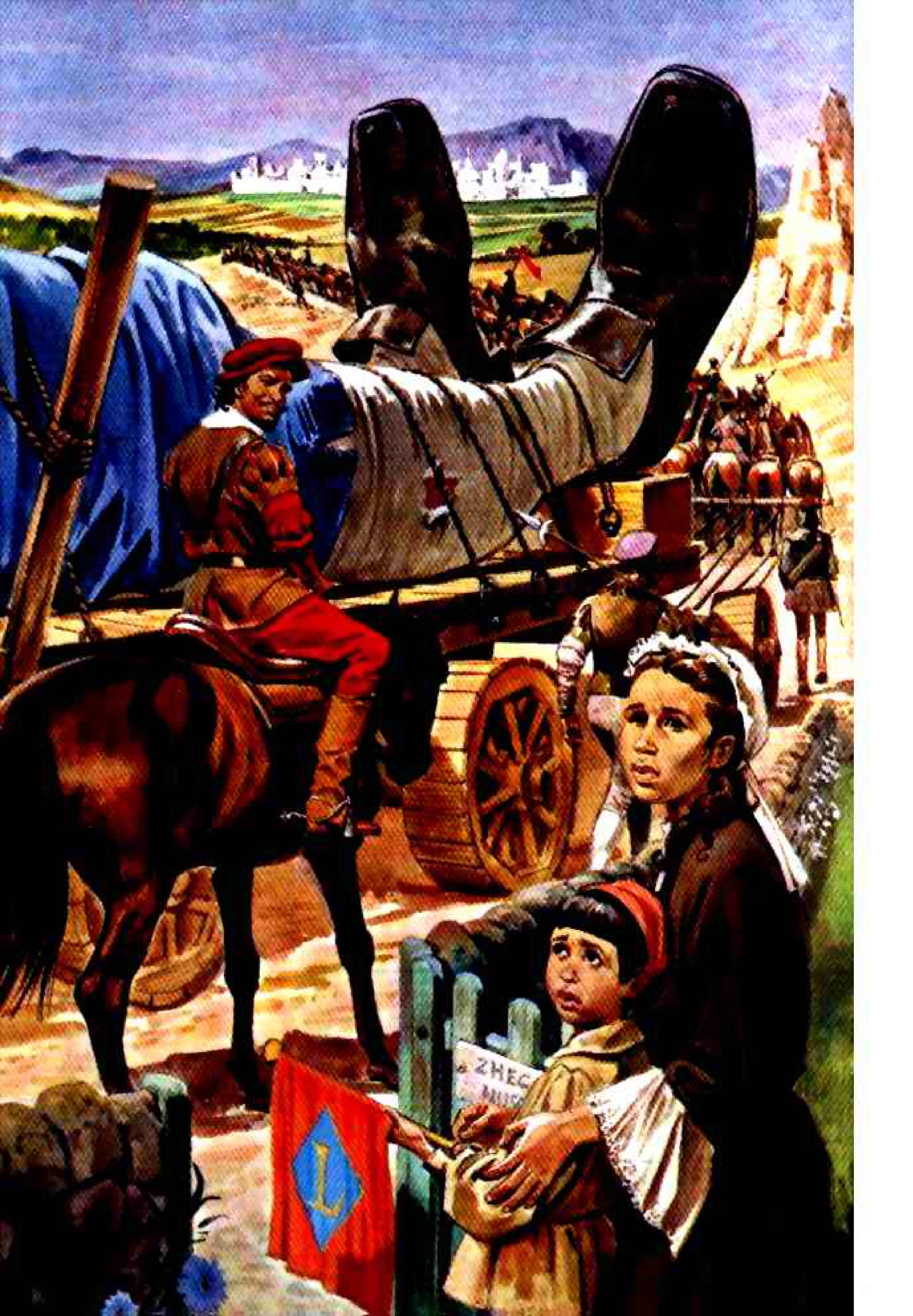
وَتَبَيَّنْتُ آنَذاكَ أَنَّهُمْ نَصَبُوا مِنَصَّةً صَغِيرَةً قُرْبَ رَأْسِي لِيَتَمَكَّنَ إِمْبَراطُورُهُمْ مِنَ ٱلتَحَدُّثِ إِلَيَّ . وَتكَلَّمَ لِفَتْرَةٍ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْهَمَهُ . وَبَدَأتُ أَشْعُرُ بِٱلجُوعِ ، فَأَشَرْتُ إِلَى فَمِي ، وجَعَلْتُ أُحَرِّكُ فَكَّيَّ كَمَنْ يَمضُغُ . وَسُرْعَانَ ما أَرْسَلَ الإِمبراطورُ بَعْضَ رِجالِهِ لِيُحْضِرُوا لِي طَعَاماً وشَراباً .

وَأُسْنِدَتِ السَّلالِمُ إِلى جانِبَيَّ ، وأَخَذَ ما يَنُوفُ عَلَى مائَةِ قَزَمٍ في التَّسَلُّقِ ، وَقَدْ جَلَبُوا سِلالاً مَلِيئَةً بِاللَّحْمِ وَالْخُبْزِ . وكانَتْ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ في حَجْمِ قِطْعَةِ لَحْمٍ مَفْرُومَةٍ صَغِيرَةٍ ، لِذَا كانَ لا بُدَّ لي مِنَ الاستِمْرارِ في طَلَبِ الْمَزيدِ . وكانَتِ الأَرْغِفَةُ صَغِيرَةً لِلْغايَةِ ، فكُنْتُ أَلْتَهِمُ كُلَّ ثَلاثَةٍ مِنها دَفْعَةً وَاحِدَةً .

وَشَرِبْتُ بِرْمِيلاً مِنَ الشَّرابِ في جُرْعَةٍ وَاحِدَةٍ بينما الأَقْزامُ يَنْظُرُونَ إِلى بَعْضِهِم مَشْدُوهينَ وَكَأَنَّهُم لا يُصَدِّقُونَ ما يَرَونَ . وما لَبِثُوا أنْ أَحْضَرُوا لِي مَزِيداً مِنَ ٱلشَّرابِ فَتَناوَلْتُه .

وأَفْهَمتُهُم بالإِشاراتِ أَنِّي لَنْ أُحاوِلَ ٱلفِرارَ ، فَحَلُّوا من القُيُودِ ما جَعَلَني أَسْتَطِيعُ ٱلتَقَلُّبَ عَلَى جانِبَيَّ . وَوَضَعُوا أَيْضاً بَعْضَ ٱلمَرْهَمِ عَلَى وَجْهِي وَيَدَيَّ ، فَأَزَالَ ذلكَ الالْتِهابَ ٱلَّذي سَبَّبَتْهُ سِهامُهُم .

وَبَعد قَليلٍ ٱسْتَغْرَقْتُ فِي ٱلنَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى .



وَعِنْدَما اسْتَيْقَظْتُ وَجَدْتُ نَفْسِي فَوْقَ مِنَصَّةٍ ذَاتِ عَجلاتٍ تَتَّجِهُ صَوْبَ عَاصِمَةِ هؤُلاءِ ٱلْأَقْزامِ ، عَلَى بُعْدِ حَوَالَى نِصْفِ مِيلٍ . وكَانَ يَجُرُّني أَلْفٌ وَخَمْسُمائَةِ جَوَادٍ مِنْ أَضْخَمِ جِيادِ ٱلإِمْبراطُورِ ، وكانَ كُلٌّ مِنها في حَجْمِ يَدِي تَقْرِيباً .

وَاكْتَشَفْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّ صُنْعَ هذِهِ المِنَصَّةِ تَطَلَّبَ خَمسَمائَةِ نَجّارٍ وَمُهَنْدِسٍ ، وأَنَّ ما لا يَقِلُّ عَن تِسْعِمائَةِ رَجُلٍ تعاوَنوا لِوَضْعِي فَوْقَهَا في أَثْناءِ نَوْمي .

وبَقِيْتُ فَتْرَةً لا أَعْرِفُ مَا ٱلَّذِي أَيْقَظَنِي ، لكِنْ قِيلَ لِي فِيمَا بَعْدُ إِنَّ بَعْضَ ٱلشَّبَابِ أَرَادُوا رُؤيَتِي نائماً . فَصَعِدُوا إِلَى أَعْلَى ٱلمِنَصَّةِ وَسَارُوا بِخِفَّةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى وَجْهِي . وَحَدَثَ أَنَّ أَحَدَهُمْ ، وكانَ ضَابِطاً مِنَ ٱلْحَرَسِ الإِمْبَراطُورِيِّ ، أَدْخَلَ طَرَفَ رُمْحِهِ الْمُدَبَّبَ فِي أَنْفِي ، فَأَشْعَرَنِي بِوَخْزٍ كَوَخْزِ ٱلْقَشَّةِ ، فَجَعَلَنِي أَعْطِسُ وأَسْتَفِيقُ . وَقَدْ أَسْرَعَ ٱلشَّبَابُ بِالْفِرارِ قَبْلَ أَنْ أَلْمَحَهُمْ .

وَسارَ مَوكِبُنا طَوِيلاً بَقِيَّةَ ذَلِكَ النَّهارِ وَاسْتَرَحْنا لَيْلاً . وقَد أَوْكَلُوا حِراسَتِي إِلى خَمْسِمائَةِ حَارِسٍ عَلَى كِلا جَانِبَيَّ كانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِرَمْيِي بِالنِّبَالِ إِذَا حَاوَلْتُ ٱلفِرارَ .



وَأَخيراً وَصَلْنا إِلَى العاصِمَةِ. وَتَوَقَّفَتِ الْمَنَصَّةُ الَّتي كُنْتُ مَشْدُوداً إِلَيْها خارِجَ هَيْكَلٍ ضَخمٍ مَهْجُور. وَإِذْ كانَ ذلكَ أَضْخَمَ مَبْنىً في ٱلْبَلَدِ كُلِّهِ، فَقَدِ ٱعْتَزَمَ ٱلْإِمْبراطُورُ أنْ أَتَّخِذَه مَسْكَناً لي. وكانَ بابُ الهَيْكَلِ كَبيْراً بِقَدْرٍ يَسْمَحُ لِي أن أَزْحَفَ عَبْرَه الى ٱلداخِلِ عِنْدَما أُريدُ النَّوْمَ. فَإِذَا دَخَلْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ سِوَى ٱلرُّقادِ.

وأَصَرَّ ٱلأَقْزامُ على عَدَمِ إِطْلاقِ سَراحِي فَوَضَعُوا قُرابَةَ مائَةٍ مِنْ سَلاسِلِهِم ٱلدَّقيقَةِ حَوْلَ ساقِي الْيُسْرَى. وكانَ القَيدُ يَسمَحُ لي بالوُقُوف، لكِنَّهُ يَمْنَعُني مِنَ التَّنَقُّلِ لِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ.

وَعِنْدَما ٱنْتَهَتْ هذِهِ التَّرْتِيبات، جاءَ الْإِمْبراطُورُ لِرُؤْيَتي. وكَانَ يَحْمِلُ في يَدِهِ سَيْفاً في حَجْمِ إِبْرَةِ الرَّفْوِ لِيُدافِعَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا ما أَفْلَتُّ مِنْ قُيُودِي. وَكَانَ ٱلامبراطورُ قَزَماً أَنيقاً يَزيدُ طُولُه بِكَثِيرٍ عَنْ بَقِيَّةِ مُرافِقيه. وكَانَ يَرْتَدِي خُوذَةً ذَهَبِيَّةً في أَعْلاها رِيشَةٌ طَويلَة وَكانَ جَميعُ أَفرادِ ٱلحاشِيَةِ مِن سَادَةٍ وسيِّداتٍ يَرفُلُونَ بِٱلمَلابِس ٱلمُوَشّاةِ بِالذَّهَبِ والْفِضَّةِ، وتتألَّقُ زينَتُهم في نُور الشَّمس.

وَحاوَلْتُ أَنْ أُجيبَ ٱلإِمْبَراطُورَ عِنْدَما تَحدَّثَ إِلَيَّ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَيّاً مِنَ اللُّغاتِ الْعَديدَةِ الَّتي أَتَكَلَّمُها. وما لَبِثَ أن انْصَرَفَ عائِداً لِيُقَرِّرَ ما إِذَا كانَ سَيَلْجَأُ إلى قَتْلي أَمْ لا. إِذْ إِنَّ إِطْعامي سَيُكَلِّفُهم كَثيراً جداً، كَما إِنِّي قَدْ أكونُ خَطَراً عَلَيْهِمْ.





وَبَعْدَ أَنِ ٱنْصَرَفَ ٱلإمبراطُورُ، جاءَ حَشْدٌ هائِلٌ مِنْ أُولئك الأَقْزامِ لِمُشاهَدتي، فلَم يَسْبِقْ لأَحدٍ مِنْهُمْ أَنْ شَهِدَ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ هذا الْمَخْلُوقِ الضَّخْمِ. وَأَطْلَقَ بَعْضُهُمُ ٱلسِّهامَ عَلَيَّ، وكادَ أَحَدُهم أَن يُصيبَ عَيْني. فَما كانَ من ٱلْحُرَّاسِ إلاَّ أن قَيَّدوا الْأَقْزامَ ٱلْمُعتَدينَ وَسَلَّمُوهُمْ لِي لِأُعاقِبَهُمْ.

فَوَضَعْتُ خَمْسَةً مِنْهُمْ في جَيْبي، وَتظاهَرْتُ بِأَنّي سَأَلْتَهِمُ سادِسَهُم وكانَ قَدْ تَمَلَّكَهُ ذُعْرٌ شَديدٌ. ثُمَّ أَخْرَجْتُ مُدْيَتي وَقَطَعْتُ قُيودَهُ، وَوَضَعْتُهُ سالِماً فَوْقَ الْأَرْضِ. وهكَذا فعَلْتُ بالآخَرينَ، مُلْتَقِطاً إِيَّاهُمْ مِنْ جَيْبي واحداً واحِداً. وكَم كانَت دَهْشَةُ الجَميعِ لِرُؤْيَتي أُعامِلُهُمْ بِتِلْكَ ٱلرِّقَّة.

وَتَوَجَّهَ ٱثْنانِ مِنَ الْحُرَّاسِ إلى الْإِمْبراطُورِ فأَخبَراهُ بِما فَعَلْتُ. فَقَرَّرَ عَدَمَ قَتْلي عِرْفاناً بِالْجَميلِ، وَأَمَرَ النَّاسَ ٱلقاطِنينَ بِٱلْقُرْبِ مِنَ الْمَدينَةِ أَنْ يُحْضِرُوا لي يَوْمِيّاً سِتَّ بَقَراتٍ وأَرْبَعينَ شاةً بالإضافَة إلى ما يَلْزَمُني منَ الشّراب. وَلَم يَكُنْ لِيَكْفِيني أَقَلُّ مِنْ ذاكَ الْقَدْرِ فكُلُّ شَيْءٍ كانَ صَغيراً جِدّاً.

وَطَلَبَ ٱلامبراطور إِلَى ثَلاثمائَةِ خَيَّاطٍ أَنْ يُعِدُّوا لِي مَلابِسَ مُناسبةً، كَما أَوكَلَ أَمْرَ العِنايَةِ بي إلى سِتّمائة منَ الأَقزامِ أسكَنَهُم في خِيامٍ خارِجَ ٱلْهَيْكَلِ الذي أسكُنه تَيْسِيراً لِمُهمَّتِهم.

وَأَخيراً أَلْزَمَ سِتَّةَ رِجالٍ بِتَعْليمي لُغَتَهُمْ.



وَلَمْ يَمْضِ أَكثَرُ من ثَلاثَةِ أَسابيعَ حتَّى صارَ بمَقْدُوري أَنْ أَفْهَمَ الْأَقْزامَ وأَتَحدَّثَ إِلَيْهِمْ. وكانَ أَقلَّ شيْءٍ طَلَبْتُهُ مِنَ الْإِمْبَراطُورِ إطلاقُ سَراحي. فَقالَ إِنَّهُ يَجِبُ التأكُّدُ أولاً أنَّه لَيْسَ بحوزَتي ما يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ مَصْدَرَ خَطَرٍ عَلَى شَعْبِهِ. وتَقدَّمَ اثْنانِ لِيُفَتِّشا جُيُوبي، وَسَجَّلا كُلَّ ما عَثَرا عَلَيْهِ.

وَأَطلَقَ عَلَيَّ المُفَتِّشانِ اسْماً جَديداً هو «الجبَلُ الآدَميُّ الْهائِلُ»، وقَدْ وَجدا في جُيُوبي الأشياءَ التالية:

مِنْدِيلاً ظَنَّاهُ بِساطاً أو سَجَّادة.

عُلْبَةَ سُعُوطٍ وَصفَاها كَصُندوقٍ مَليءٍ بالغُبار. وَقدْ جعَلَهُما ذلكَ الغُبارُ يَعْطِسَانِ طويلاً.

دَفْتَرَ مُذكَّراتٍ أَدْرَكا أَنَّ فِيهِ كِتابَةً كَبيرَةَ الحُرُوف.

مِشْطاً، وقَد عَرَفا لِماذا يُسْتَخْدَمُ، وَلكِنَّهُما قالا في وَصْفِهِ إِنَّهُ يُشْبِهُ القُضْبانَ الَّتي تُسَيِّجُ قَصْرَ الإِمْبَراطُورِ.

سِكِّيناً، ومُوسَى حِلاقَةٍ، وزَوْجاً مِنَ المُسَدَّسَاتِ. وكَانَتْ كُلُّها جَدِيدَةً عَلَيْهِما، فلَم يتمكَّنا من مَعرِفَةِ الغايَةِ مِنْها.

سَاعَةً، قَالا إِنَّها تُحْدِثُ صَوْتاً مِثْلَ طاحُونَةٍ مائِيَّةٍ. وَقَد ظَنَّا أَنِّي أَعْبُدُها حِينَ أَخْبَرتُهما إنِّي دائِماً أَنْظُرُ إِلَيْها قَبْلَ أَنْ أَقُومَ بأَيِّ عَمَلٍ.

مَحْفَظَةَ نُقُودٍ، قَالا إنّها شَبَكَةٌ كَبيرةٌ تُشبه شَبَكَةَ الصَيَّادِ. وَلكِنَّهما عَرَفا أنَّني أَسْتَخْدِمُها كَمَحْفَظَةٍ، وَقَد أَدهَشَهُما كَثيراً كِبَرُ حَجْمِ القِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتي بِها.



وَعِنْدَما فَرَغَ القَزَمانِ مِنْ تَفْتيشِ جُيُوبِي ، نَظَرا إلى مِنْطَقَتي (حِزامِي) وَسَجَّلا أَنَّني أحمِلُ سَيْفاً في طُولِ خَمْسَةِ رِجالٍ ، وَجِرَاباً ذَا جَيْبَيْنِ. يَحْوِي أَحَدُهُمَا مَسْحُوقاً أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، والآخَرُ كُرَاتٍ ثَقِيلَةً.

ثُمَّ أَخَذا الْقائِمَةَ الَّتي أَعَدَّاها إلَى الْإِمْبراطُورِ، فَطَلَبَ مِنِّي هذا أَنْ أَسْتَلَّ سَيْفِي وأَضَعَهُ بِحِرْصٍ عَلَى الْأَرْضِ. ثُمَّ سَأَلَني فِيمَ يُسْتَخْدَمُ مُسَدَّسَايَ. فَرَجَوْتُهُ أَلاَّ يَفْزَع ، ثُمَّ أَطْلَقْتُ وَاحِداً مِنْهُما في الْهَواءِ.

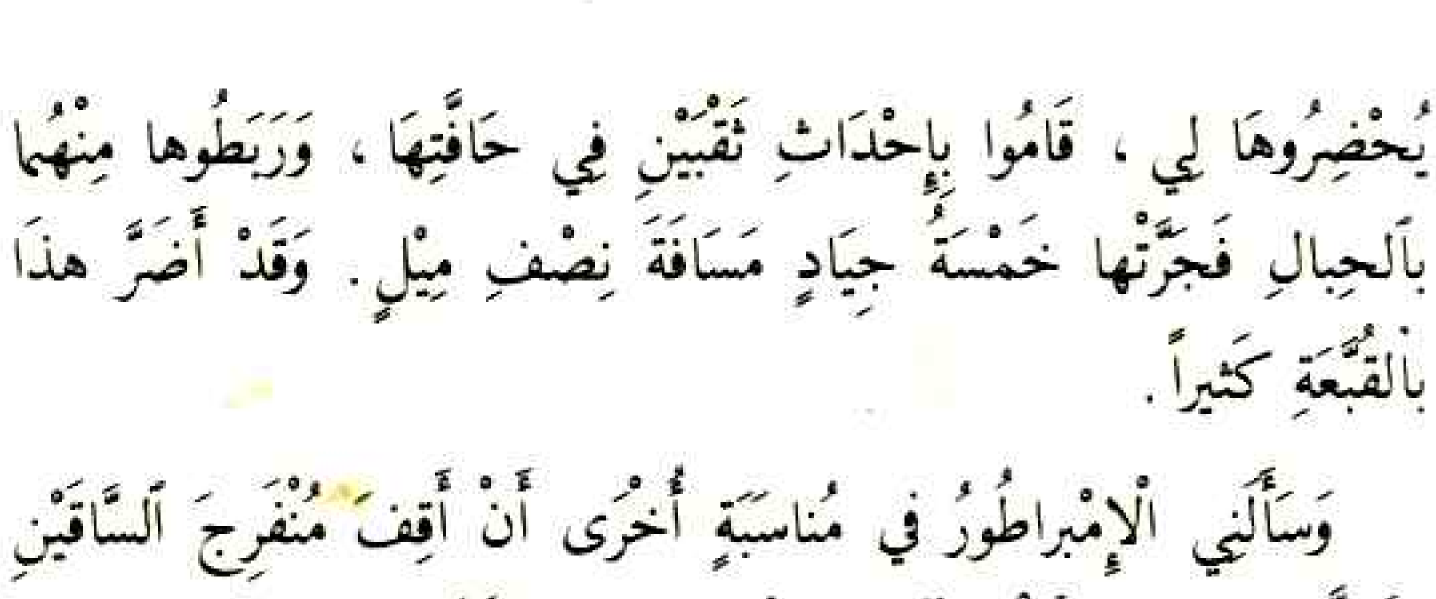
وَسَقَطَ الْجَمِيعُ رُعْباً مَا عَدَا الْإِمْبراطُورَ الَّذي شَحِبَ لَوْنُهُ ، فَأَمَرَ أَن أُسَلِّمَ مُسَدَّسَيَّ في الْحَالِ. وَفَعَلْتُ كما أُمِرتُ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَنَّ الْمَسْحُوقَ الْأَسْوَدَ يَنْبَغي أَنْ يُحْفَظَ بَعِيداً عَنِ النَّارِ لأَنَّهُ شَدِيدُ الْخُطُورَةِ.

وَحُمِلَت جَمِيعُ أَمْتِعَتي لِتُوضَعَ في مَخْزَنِ الْإِمْبراطُورِ، مَا عَدَا نَظَّارَتي الَّتي كَانَتْ في جَيْبٍ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيه الْقَزَمانِ.

وَبَدَأَ الْإِمْبراطُورُ وَشَعْبُهُ يُدْرِكُون تَدْرِيجِيّاً أَنَّني لا أُشَكِّلُ خَطَراً عَلَيْهِمْ. وصَارَ بَعْضُهُمْ يَأْتي من حِينٍ لآخَرَ لِيَرْقُصَ عَلَى يَدِي ، كَما اسْتَطَاب الْأَوْلادُ وَالْبَنَاتُ أَن يَتَلَهَّوْا بِلُعْبَةِ الْغُمَّيْضَةِ (الاِسْتِغْمَّايَة) في

شَعْرِ رأسي وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى الْأَرْضِ. حَتَّى الْجِيَادُ كَفَّتْ عَنِ الْخَوْفِ مِنِّي ، فكثيراً ما كانَ الْفُرْسَانُ وخُيُولُهم يَتَناوَبُونَ الْقَفْزَ مِنْ فَوقِ يَدِي وهي مَمدُودَةٌ عَلَى الْأَرْضِ.





وَذاتَ يَوْمٍ جاءَ أُناسٌ يُخْبِرونَ الْإِمْبراطُورَ أَنَّهُم عَثَرُوا عَلَى شَيْءٍ ضَخْمٍ أَسْوَدِ اللَّوْنِ مُلْقىً عَلَى الْأَرْضِ. وَقالُوا إِنَّهُ لَيْسَ كائِناً حَيّاً، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ يَخُصُّ الْجَبَلَ الْآدَمِيَّ الْهائِلَ. وَلَمْ يَكُنْ هذا الشَّيْءُ سِوَى قُبَّعَتِي، الَّتِي ظَنَنْتُ أَنَّنِي فَقَدْتُها فِي الْبَحْرِ. وَلكَيْ

يُحْضِرُوها لي، قامُوا بِإِحْداثِ ثَقْبَيْنِ فِي حافَّتِها، وَرَبَطُوها مِنْهُما بِالْحِبالِ فَجَرَّتْها خَمْسَةُ جِيادٍ مَسافَةَ نِصْفِ مِيلٍ. وَقَدْ أَضَرَّ هذا بِالْقُبَّعَةِ كَثِيراً.

وَسَأَلَنِي الْإِمْبراطُورُ فِي مُناسَبَةٍ أُخْرَى أَنْ أَقِفَ مُنْفَرِجَ السَّاقَيْنِ لِيَتَسَنَّى لِجَيْشِهِ أَنْ يَمُرَّ فِي اسْتِعراضٍ بَيْنَهُما. وَقد اشترك فِي الاستِعراضِ مَا لا يَقِلُّ عَنْ ٣٠٠٠ جُنْدِيٍّ مِنَ الْمُشاةِ و١٠٠٠ فارِسٍ يُواكِبُهُم قارِعُو الطُّبُولِ وَحامِلُو الْأَعْلامِ.

وَطَلَبْتُ تَكْراراً أَنْ يُطْلَقَ سَراحِي، فَوافَقَ الْإِمْبراطُورُ أَخِيراً، شَرْطَ أَنْ أُطِيعَ قَوانِينَهُ. ولَمَّا تَعَهَّدْتُ بِذلِك نُزِعَتْ عَنِّي السَّلاسِلُ والأغلال.

وَكُنْتُ دائِماً تَوّاقاً لِمُشاهَدَةِ الْعاصِمَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ حُرّاً وَافَقَ الْإِمْبراطُورُ. وَقد طُلِبَ مِنْ أفرادِ الشعب البقاءُ فِي مَنازِلِهِم خَشْيَةَ أَنْ أَطَأَ أَحَدَهم بِقَدَمَيَّ. لِذلِكَ احْتَشَدَ النّاسُ فِي نَوافِذِهِمْ لِمُشاهَدَتِي وأنا أَتَخَطَّى السُّورَ إلى الْمَيْدانِ الَّذي يَتَصَدَّرُهُ قَصْرُ الْإِمْبراطُورِ.

وكانَ الْقَصرُ رائِعاً حَقّاً، كَأَنَّهُ بَيْتُ دُمْيَةٍ كَبِيرَةٍ. وَقَد اسْتَلْقَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ لِأَنْظُرَ مَا بِداخِلِهِ، وَتَقَدَّمَتِ الْإِمْبراطُورَةُ إِلَى النّافِذَةِ مُبْتَسِمَةً، وَمَدَّتْ لِي يَدَها لِأُقَبِّلَها.

وَبَعْدَ إطلاقِ سَرَاحِي بِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ جَاءَ أَحَدُ رِجالِ الدَّوْلَةِ الْكِبارِ لِمُقابَلَتِي . وَجَرَى بَيْنَنا حَدِيثٌ طَوِيلٌ ، وَعَلِمْتُ مِنْهُ أَشْياءَ كَثِيرَةً .

لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْجَزِيرَةَ ، اَلْمُسَمَّاة «لِيلِيبُوت» جَزِيرَةٌ آمِنَةٌ وهَانِئَةٌ ، وَلكِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّها لَيْسَتْ كَذلِكَ .

وَقَالَ : «لَعَلَّكَ لاحَظْتَ أَنَّ بَعْضَنا يَنْتَعِلُ كُعُوباً عالِيَةً ، وبَعْضَنا اَلآخَرَ يَنْتَعِلُ كُعُوباً مُنْخَفِضَةً . وَالامبراطورُ لا يَسْمَحُ إلاَّ لأَصْحابِ اَلكُعُوبِ المُنْخَفِضَةِ بالْعَمَلِ عِنْدَهُ ، وَهذا طَبعاً لا يَروقُ لأَصْحابِ اَلكُعُوبِ الْعالِيَةِ . وَلِهذا السَّبَبِ هُناكَ خِلافَاتٌ جَمَّةٌ بَيْنَ أَهالِي لِيلِيبُوت» .

ثُمَّ أَخْبَرَنِي زَائِري بِخَطَرٍ أَكْثَرَ هَوْلاً يَتَهَدَّدُ بِلادَه :

«هُناكَ جَزيرَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَّا تُسَمَّى «بْلِيفُسْكُو» ، وأَهْلُ هذِهِ اَلجَزيرَة عازِمُونَ عَلَى مُهاجَمَتِنا» .

وَسَأَلْتُهُ : «لِماذا؟»

فَأَجابَ : «لَقَدْ بَدَأَتِ الْمَسْأَلَةُ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ ، عِنْدَما كَانَ اَلجَدُّ اَلأَكْبَرُ لِلإِمْبَراطُورِ اَلحاليّ صَبِيّاً صَغِيراً . فَقَد أَدْمَى اَلصبيُّ إصبعَهُ ذَاتَ صَباحٍ عِنْدَمَا كَانَ يَقْشُرُ طَرَفَ بَيْضَتِهِ . وكَانَ كُلُّ النَّاسِ حَتَّى ذلِكَ الْوَقْتِ يَقشُرونَ الطَّرَفَ الْعَرِيضَ مِنَ الْبَيْضَةِ أَوَّلاً . وإثْرَ هذا الحادثِ أَمَرَ الْحاكِمُ فِي ذلِكَ اَلزَّمان بأَنَّهُ عَلَى كُلِّ امْرِىءٍ أَنْ يَقْشُرَ اَلطَّرَفَ الْمُسْتَدِقَّ مِنَ اَلبَيْضَةِ أوّلاً . ولَم يَكُنْ أَمامَ رافِضي اَلقَرارِ إلاّ أَنْ يُغادِرُوا «لِيلِيبُوت» . فَذَهَبُوا إِلَى جَزِيرَةِ «بْلِيفُسْكُو» ، وَأَطْلَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِم اسْمَ «أَنْصارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ» . وهُم حالِيّاً يَعتزِمونَ شَنَّ الْحَرْبِ عَلَى «لِيلِيبُوت» ، وَيُرِيدُ مِنْكَ الإِمْبَراطُورُ أَنْ تُساعِدَنا» .



فَأَجَبْتُهُ بأنِّي سأفعلُ ما أَستطيعُ لِمُساعَدَةِ شَعْبِ «لِيلِيبُوت»، لأَنَّهُمْ كَانُوا لُطَفَاءَ جِدّاً مَعِي.

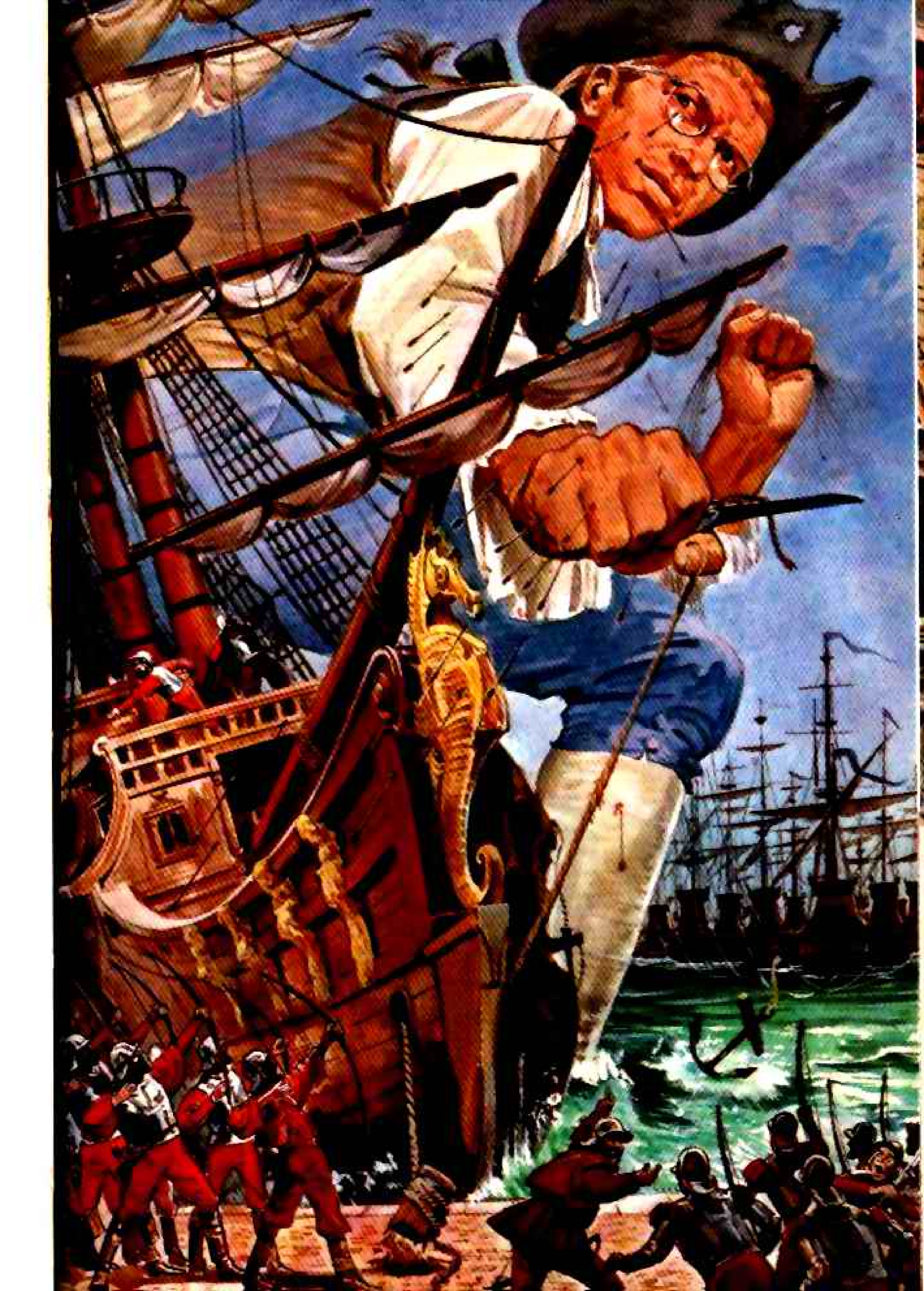
وَعَرَفْتُ أَنَّ لَدَى أَنْصارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ حَوالَى خَمْسِينَ سَفِينَةً حَرْبِيَّةً راسِيَةً، فاعْتَزَمْتُ الاسْتِيلاءَ عَلَيْهَا.

وأَعدَدْتُ لِهَذا الغَرَضِ خَمْسِينَ خُطَّافاً ثَبَّتُّ كُلاًّ منها بِخَيْطٍ طَوِيلٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى «بْلِيفُسْكُو». وكَانَتِ الْمَسافَةُ بَيْنَ الْجَزِيرَتَيْنِ لا تَتجاوزُ نِصْفَ مِيلٍ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَخُوضَ مُعْظَمَها وَلَم أَلجَأْ إلى السِّباحَةِ إلاَّ قَليلاً في مُنْتَصَفِ الْمَسافَةِ.

وَتَمَلَّكَ الْأَعْداءَ الذُّعْرُ عِنْدَمَا رَأَوْنِي، فَقَفَزُوا مِنْ سُفُنِهِمْ وَسَبَحُوا إِلَى الشَّاطِئِ. عِندئِذٍ ثَبَّتُّ خُطَّافاً فِي مُقَدَّمِ كُلِّ سَفِينَةٍ، ثُمَّ رَبَطْتُ جَمِيعَ الْخُيوطِ مَعاً عِنْدَ أَطْرَافِهَا. وَبَينَما كُنْتُ أَقُومُ بِهذِهِ الْمُهِمَّةِ، أَطْلَقَ عَلَيَّ أَنْصارُ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ آلافاً مِنْ سِهامِهِم الصَّغيرَةِ. وقَد خَشِيتُ أَنْ يُصِيبَ أَحدُها عَيْنَيَّ، فَلَبِسْتُ نَظَّارَتِي.

وَبَعْدَ أَنْ قَطَعْتُ حِبالَ الْمَرْسَى، أَمسَكْتُ أَطْرافَ الْخُيُوطِ الْمُنْعَقِدَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْخَطَاطِيفِ، وَانْطَلَقْتُ عائِداً إِلَى «لِيلِيبُوت» وَمَعِي خَمْسُونَ سَفِينَةً مِنْ أَكْبَرِ سُفُنِ الْأَعْداءِ.

وَكَانَ سُرُورُ الْإِمْبراطُورِ بَالِغاً حَتَّى إِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِلَقَبِ «نَارْدَاك»، وَهُوَ من أَرفَعِ الْأَلْقَابِ فِي تِلكَ البِلادِ.





لكنَّ الْإمبْراطُورَ لَم يَكْتَفِ بذلِكَ ، وهَا هُو يُريدُني أَنْ أَسْتَوْلِيَ عَلَى بَقِيَّةِ سُفُنِ الْأَعْداءِ ، لِكَي يُصبِحَ إمْبراطُوراً عَلَى أَنْصارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ كَما على «لِيلِيبُوت» . وعِنْدَئِذٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ أَنْصارَ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ يُطِيعُونَ قَوانِينَهُ فَيَقْشُرونَ الْأَطْرافَ الْمُسْتَدِقَّةَ مِنْ بَيْضِهِمْ أَوَّلاً . وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ، لأَنَّني لَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ بِصَوابِيَّتِه . وقَد أَثارَ رَفْضِي غَيْظَ الْإمْبراطُورِ وغَضَبَه .

وبَعدَ هذا الْحادِثِ بقَليلٍ حضَرَ بَعْضُ أَنْصارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ لِمُصالَحَةِ أَهَالِي «لِيلِيبُوت» . وَعِنْدَمَا شاهَدُوني مَرَّةً أُخْرَى ، سَأَلُوني الْمَجِيءَ إِلَى «بْلِيفُسْكُو» يَوْماً ما لِيَتَسَنَّى لِلسُّكَّانِ هُنَاكَ مُشاهَدَتِي . فَقَبِلْتُ الدَّعْوَةَ ، مِمَّا زادَ مِنْ غَضَبِ الْإمْبَراطُورِ عَلَيَّ .



وكانَ الْقائِدُ الْعامُّ لِلْقُوّاتِ الْبَحْرِيَّةِ مُسْتاءً مِنِّي أيضاً ، لَيْسَ فَقَطْ لأَنَّني دَحَرْتُ أُسْطُولَ أَنْصارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ (وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ بِمُسْتَطاعِهِ) ، بَلْ أَيْضاً بِسَبَبِ مَنْحِي لَقَبَ «نارْداك» .

وكانَ هُناكَ آخَرُونَ لا يُحِبُّونَني مِنْ بَيْنِ رِجالِ الْإمْبراطُورِ الْبارِزينَ . فَبَعْضُهم لَمْ يَكُنْ يُحِبُّني لِأَنَّني كُنْتُ آكُلُ كَمِّيّاتٍ ضَخْمَةً مِنْ طَعَامِهِمْ ، وبَعضُهُم الْآخَرُ كانَ يَرى في وُجُودي خَطَراً عَلَيْهِمْ .

وَطَلَبَ الْجَميعُ مِنَ الْإمْبراطُورِ أَنْ يَأْمُرَ بِقَتْلِي كَعَدُوٍّ لِـ «لِيلِيبُوت» ، لِأَنِّي رَفَضْتُ أَنْ أُنَفِّذَ مَا أَمَرَ بِهِ الْإمْبراطُورُ .

وَرَفَضَ الْإِمْبراطُورُ أَنْ يَقْتُلَني ، لِأَنَّني كُنْتُ قَدْ ساعَدْتُهُ . وَفَكَّرَ طَوِيلاً ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَفْضَلَ طَرِيقَةٍ لِمُعاقَبَتِي هِيَ أَنْ يَفْقَأَ عَيْنَيَّ .

وَكَانَ أَحَدُ النُّبَلاءِ صَدِيقاً لِي . فَأَتاني سِرّاً لِيُخْبِرَني بِمَا قَالَهُ الْإِمْبراطُورُ ، حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ إِنْقاذِ نَفْسِي .

وَعِنْدَما سَمِعْتُ مَا قَالَهُ صَدِيقِي ، شَعَرْتُ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِمُغَادَرَةِ «لِيلِيبُوت» ، لِأَنَّهُ لَمْ تَرُقْ لِي فِكْرَةُ أَنْ أَكُونَ كَفِيفاً .

فَمَضَيْتُ تَوّاً إِلى الشَّاطِئِ وَأَخَذْتُ إِحْدَى سُفُنِ الْإِمْبراطُورِ وَوَضَعْتُ فِيها مَلابِسِي حَتَّى لا تَبْتَلَّ ، وسَحَبْتُها خَلْفي وَأَنا أَسْبَحُ صَوْبَ «بْلِيفُسْكُو» .

وَسُرَّ إِمْبراطُورُ «بْلِيفُسْكُو» لِرُؤْيَتي ، وَكَذلِكَ جَمِيعُ أَفْرادِ شَعْبِهِ . وكَانُوا لُطَفاءَ مَعِي ، وقَد أَحْبَبْتُهُمْ ، لكِنَّني لَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ في قَضاءِ بَقِيَّةِ عُمْرِي هُناكَ . لَقد كُنْتُ أُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَى وَطَنِي .

وَحَدَثَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ أَبْصَرْتُ في عُرْضِ الْبَحْرِ قَارِباً عادِيَّ الْحَجْمِ يَطْفُو مُنْقَلِباً رَأْساً عَلَى عَقِبٍ . فَسَأَلْتُ الْإِمْبراطُورَ أَنْ يُعِيرَنِي بَعْضَ السُّفُنِ والرِّجَالِ لِمُعاوَنَتي عَلَى جَلْبِهِ إِلى الشَّاطِئِ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِبْحارِ بِهِ إِلَى وَطَنِي .



وَتطَلَّبَ الْأَمْرُ أَلْفَيْنِ مِنَ الْأَقْزامِ لِمُعَاوَنَتِي فِي إِعادَةِ الْقَارِبِ إِلَى وَضْعِهِ الصَّحِيحِ حالَما رَسَا عَلَى الشَّاطِئِ. وَعِنْدَئِذٍ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُهَيِّئَهُ لِلرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى الْوَطَنِ.

وَلمَّا كَانَ أَسْمَكُ كَتَّانٍ لَدَى هؤُلاءِ النَّاسِ أَرَقَّ بِكَثِيرٍ مِنْ أَرَقِّ مَنَادِيلِنَا، فَقَدْ صُنِعَ لِي شِرَاعَانِ بِوَضْعِ ثَلاثَ عَشْرَةَ طَبَقَةً مِنَ الكَتَّانِ مَعاً. وقامَ بذلِكَ العَمَل خَمْسُمِائَةِ عامِلٍ.

وَصَنَعْتُ حِبالاً مَتِينَةً لِلْقارِبِ بِأَنْ جَدَلْتُ مَعاً مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلاثِينَ مِنْ أَسْمَكِ وَأَقْوَى حِبالِهِم. وَصَنَعْتُ المَجَاذِيفَ والصَّوارِيَ، بِمُسَاعَدَةِ نَجَّارِي سُفُنِ الْإِمْبَراطُورِ.

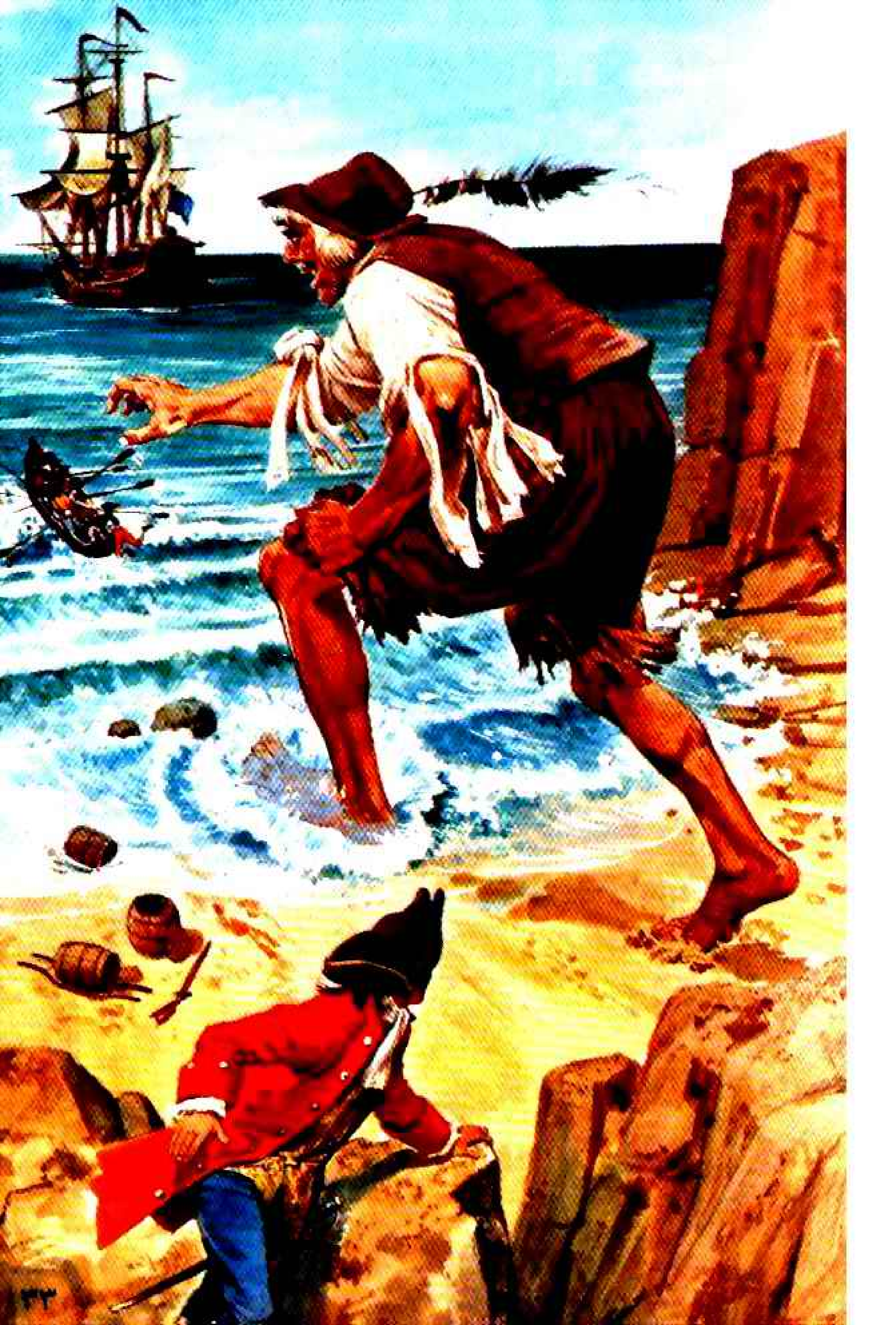




وَعِنْدَمَا أَتْمَمْتُ إِعدادَ القارِبِ، خَزَنْتُ الطَّعامَ عَلَى ظَهْرِه، فَحَمَّلْتُه أَبْقاراً وَثِيراناً وَأَغْناماً حَيَّةً أَرَدْتُ أَنْ أُرِيَهَا لِأُسْرَتِي. وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ آخُذَ مَعِي بَعْضَ الْأَقْزامِ، لكِنَّ الإِمبراطُورَ لَمْ يَسْمَحْ بِذلِكَ.

وأَقلَعْتُ بِالقارِبِ، فَأَبْصَرْتُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ سَفِينَةً ضَخْمَةً، الْتَقَطَنِي رُبَّانُها. وَلَمْ يُصَدِّقِ الرُّبانُ قِصَّتِي حَتى رَأَى الْأَبْقَارَ والْأَغْنامَ الْحَيَّةَ الَّتِي كانَتْ فِي جَيْبِي.

وَعِنْدَمَا عُدْتُ أَخِيراً إِلَى وَطَنِي، كَانَتْ زَوْجَتِي وطِفْلايَ فِي غَايَةِ السَّعادَةِ لِرُؤْيَتِي مَرَّةً أُخْرَى ولِسَماعِ مُغامَراتِي كامِلَةً. أَمَّا الْأَبْقارُ والْأَغْنَامُ، فَقَدْ أَطْلَقْتُها لِتَرْعَى العُشْبَ فِي حَدِيقَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ مَنْزِلِي فِي جرِينْتْش بِلَنْدَن. ولَعَلَّكَ تَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ بَعْضِهَا هُنَاكَ الْيَوْمَ إِذَا ذَهَبْتَ لِلْفُرْجَةِ.



رِحْلَةٌ إِلَى «بْرُوبْدِينْجْنَاجْ»

بَعْدَ أَنْ مَكَثْتُ في الْبَيْتِ فَتْرَةً ، رَكِبْتُ الْبَحْرَ مَرَّةً أُخْرَى ، لِأَنَّني أُحِبُّ التَّرْحالَ .

كَانَ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْ رِحْلَتِنا سارّاً ، وَخِلْوًا مِنَ الْمَتاعِبِ . وَذاتَ يَومٍ هَبَّتْ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، جَرَفَتْنا مِئاتِ الْأَمْيالِ بَعِيداً عَنْ مَسارِنا ، فَضَلَلْنا الطَّرِيقَ . وكانَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ طَعَامٌ وَفِيرٌ ، ولكِنَّ الْماءَ كانَ شَحِيحاً . وهكَذا ما ان لاحَت لَنا اليابِسَةُ ذاتَ يَومٍ حَتَّى أَوْفَدَ الرُّبَّانُ الْعَدِيدَ مِنَّا إِلَى الشَّاطِئِ لِنُحْضِرَ الْماءَ .

وَعِنْدَمَا نَزَلْنا إِلَى الْبَرِّ . لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَثَرٌ لِنَهْرٍ أَوْ يَنْبُوعِ ماءٍ . وظَلَّ الرِّجَالُ الْآخَرُونَ بِمُحاذاةِ الشَّاطِئِ يَبْحَثُونَ عَنِ الْماءِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَحْرِ . وسِرْتُ أَنا داخِلَ الْجَزِيرَةِ ، بَيْدَ أَنِّي لَمْ أَعْثُرْ عَلَى ماءٍ فَعُدْتُ أَدْراجِي .

وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى مِنَ الْمَكانِ الَّذِي وَقَفْتُ فِيهِ قَارِبَ سَفِينَتِنا ، وَعَلَى سَطْحِهِ جَمِيعُ الرِّجالِ ، وَهُم يُجَذِّفُونَ بِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُهُمْ عائِدِينَ إِلَى السَّفِينَةِ . لَقَدْ تَرَكُونِي خَلْفَهُمْ ! وَفَجْأَةً أَدْرَكْتُ السَّبَبَ حِينَ رَأَيْتُ عِملاقاً ضَخماً يَتَعَقَّبُهُمْ بِخُطًى وَاسِعَةٍ فِي الْبَحْرِ .

وَلَمْ أَنْتَظِرْ لِأُشاهِدَ نَتِيجَةَ الْمُطارَدَةِ بَل أَسرَعْتُ بِالْفِرارِ بِأَقْصَى سُرعَةٍ ، ثُمَّ تَسَلَّقْتُ تلاًّ شَدِيدَ الانْحِدارِ لِأَكْتَشِفَ مَعالِمَ الْبَلَدِ .

وَنظَرْتُ حوْلي فلَمْ أَسْتطِعْ أَنْ أُصدِّقَ عيْنَيَّ ! كانَتِ ٱلْأَعْشابُ سامِقَةً بارْتِفاعِ ٱلْمَنازِلِ ، وفوقَها سَنابِلُ ٱلْقَمْحِ بِعُلُوِّ أَبْراجِ المآذِنِ .

وَسِرْتُ قُدُماً فِيمَا حَسِبْتُهُ طَرِيقاً عامًّا ، غَيْرَ أَنِّي ٱكْتَشَفْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مَمَرًّا لِلرَّاجِلِينَ مِن سُكَّانِ هذا البَلَدِ . وٱنْتَهَى بي ذلِكَ ٱلْمَمَرُّ إلى مَرْقًى دَرَجِيٍّ .

كانَت الدَرَجَةُ فِي هذا ٱلمَرْقَى بِعُلُوِّ حائِطٍ شاهِقٍ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ تَسَلُّقَهَا . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أُفَتِّشُ عَنْ ثُغْرَةٍ فِي ٱلسُّورِ ٱلضَّخْمِ ، شَاهَدْتُ عِملاقاً آخَرَ كالَّذِي كَانَ يَتَعَقَّبُ أَصْدِقائِي ، فَأَصَابَنِي رُعْبٌ

شَدِيدٌ ، وَهُرِعْتُ لأَخْتَبِئَ في ٱلْقَمْحِ .

ونادَى العِمْلاقُ بِصَوْتٍ كانَ لَهُ وَقْعُ ٱلرَّعْدِ في أُذُنَيَّ ، فاتَّجَهَ نَحوَهُ سَبْعَةٌ آخرُونَ مِنَ ٱلْعَمالِقَةِ بِيَدِ كُلٍّ مِنْهُم مِنْجَلٌ لِحَصْدِ ٱلقَمْحِ . وكانَ المِنْجَلُ ٱلواحِدُ مِنها بِحَجْمِ سِتَّةٍ مِن مَناجِلِنا .

وَازْدَدْتُ رُعْباً أتساءَلُ : أينَ ٱلمَفَرُّ؟ وَأَخَذْتُ أَعْدُو جِيْئَةً وذَهَاباً لِأَبْتَعِدَ عَنْ طَرِيقِهِم ، ولكِنَّهُم كَانُوا يَتحَرَّكُونَ بِسُرْعَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ مَعَها الْهَرَبَ مِنْهُمْ .

وَأخِيراً صِحْتُ بِأَعْلَى صَوْتٍ : «قِفْ !» ، حينَ كادَ أَحَدُهُم أَنْ يطَأَنِي . ونَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى أَسْفَلَ والتَقَطَنِي مُمسِكاً إِيَّايَ بِإحْكامٍ خَشْيَةَ أَنْ أَعَضَّهُ . ثُمَّ أَخَذَني إِلَى سَيِّدِهِ لِيُرِيَهُ مَا عَثَرَ عَلَيْهِ .

كَانَ هذَا ٱلسيِّدُ العِملاقُ مُزارِعاً ، وَهُوَ نَفْسُ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَيْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي ٱلْحَقْلِ .



وَأَخْرَجَ ٱلْمُزارِعُ مِنْدِيلَهُ وَلَفَّنِي فِيهِ. وَعادَ بِي إِلَى بَيْتِهِ. وَصَرَخَتِ ٱمْرَأَتُهُ وفَرَّتْ عِنْدَمَا رَأَتْنِي، تَمامًا كَمَا تَفْعَلُ زَوْجَتِي عِنْدَمَا تَرَى فَأْرًا!

ثُمَّ جاءَ أَطْفالُهُ الثَّلاثَةُ لِإِلْقاءِ نَظْرَةٍ عَلَيَّ. وكانُوا ذاهِبِينَ تَوًّا لِتَناوُلِ غَدائِهِمْ، فَوَضَعُونِي عَلَى الْمائِدَةِ حَيْثُ يُمْكِنُهُمْ مُشاهَدَتِي وَهُمْ يَأْكُلُونَ.

وشَعَرْتُ كَأَنِّي أَقِفُ عَلَى سَطْحِ مَنْزِلٍ، فَانْتابَنِي فَزَعٌ شَدِيدٌ. وَظَلَلْتُ بَعِيدًا عَنِ ٱلحافَةِ قَدْرَ الْمُسْتَطاعِ، خَشْيَةَ السُّقُوطِ.

وَقَدَّمَتْ لِي زَوْجَةُ الْمُزارِعِ بَعْضَ فُتاتِ ٱلْخُبْزِ، وفُرامَةَ ٱللَّحم



فَأَخْرَجْتُ سِكِّينِي وَشَوْكَتِي وشَرَعْتُ آكُلُ، مِمَّا أَدْخَلَ عَلَى نُفُوسِهِم الْبَهْجَةَ. وَأَعْطَتْنِي زَوْجَةُ الْمُزارِعِ أَصْغَرَ أَقْداحِهَا (وَكانَ فِي حَجْمِ ٱلدَّلْوِ) مَمْلُوءًا بِعَصِيرِ التُّفّاحِ، وَلكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَشْرَبَهُ كُلَّهُ.

ثُمَّ دَخَلَتِ ٱلْمُرَبِّيَةُ وَبَيْنَ ذِراعَيْها طِفْلٌ رَضِيعٌ، وقَدْ رَغِبَ ٱلطِّفْلُ في أنْ يَلْهُوَ بِي كَلُعْبَةٍ. وعِنْدَمَا قَدَّمُونِي لَهُ، أخذَ رَأْسِي بَيْنَ فَكَّيهِ. فَأَطْلَقْتُ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً أَخافَتِ الرَّضِيعَ فَتَرَكَنِي أَهْوِي. وَكِدْتُ أُقْتَلُ لَوْ لَمْ تَتَلَقَّفْنِي أُمُّهُ فِي مِئْزَرِهَا.

وَعقِبَ انْتِهاءِ الْغَداءِ عادَ الْمُزارِعُ إِلى حُقُولِهِ ، وَوَضَعَتْني امْرأَتُهُ في سَريرٍ وَغَطَّتْني بِمِنْديلٍ كَمُلاءَةٍ . وكَانَ الْفِراشُ واسِعاً سَعَةَ طَريقٍ رَئيسِيٍّ ، وكَانَ الْمِنْديلُ أَسْمَكَ مِن قُماشِ أَشْرِعَةِ السُّفُنِ .

وَقامَت الاَبْنَةُ فِيما بَعْدُ بِإِعْدادِ سَريرٍ لي في مَهْدِ الرَّضيعِ وَكَانَتْ هذِهِ الْفَتَاةُ طَيِّبَةً جدًا مَعي . كَانَتْ في التَّاسِعَةِ مِن عُمرِها ، صَغيرَةَ الْحَجْمِ بِالنِّسْبَةِ لِسِنِّها في تِلْكَ الْبِلادِ ، إِذْ كَانَ طُولُها لا يَتجاوَزُ الاثْنَي عَشَرَ مِتراً . وَأَطْلَقَتْ عَلَيَّ الفَتاةُ اسْمَ « جريلْدريْج » ، أَي « الرَّجلِ الصَّغيرِ » ، وعَلَّمَتْني لُغَتَهُمْ . وَقَدْ أَحْبَبْتُها كَثيراً .

وَحالَمَا سَمِعَ النَّاسُ في الجوارِ عَنِّي ، تَقاطَروا جَميعاً لِإِلْقاءِ نَظْرَةٍ عَلَيَّ . واقترحَ أَحَدُهُم على الْمُزارِعِ أَنْ يأْخُذَني إِلى الْمَدينَةِ في يَوْمِ السُّوقِ التَّالي ، لِيَعْرِضَني لِلْمُشاهَدةِ مُقابِلَ أَجْرٍ مُحَدَّدٍ . وهكَذا فعَلَ الْمُزارِعُ ، وَجاءَتْ مَعَنا ابْنَتُهُ الصَّغيرَةُ لِتُعْنى بي ، وَأَسْمَيْتُها مُرَبِّيَتي .

وعُرِضتُ عَلَى نَضَدٍ (طاوِلَةٍ) في أَكْبَرِ قَاعاتِ الْفُنْدُقِ ، وكانَتْ باتِّساعِ مَلْعَبِ كُرَةِ الْقَدَمِ ! وقَدْ قُمْتُ بجَميعِ الأَلْعابِ البَهْلَوانِيَّةِ المُسَلِّيَةِ الَّتي مَرَّتْ بِخاطِري - وَقَفْتُ عَلى رَأْسِي ، وحَجَلْتُ ، وقَفَزتُ كالضِّفْدَعِ وَرَقَصْتُ - لأُبْهِجَ المُتفَرِّجين .





وَجَمَعَ المُزارِعُ قَدْراً كَبِيراً مِنَ الْمالِ مِنَ ٱلْفُرْجَةِ عَلَيَّ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَأْخُذَنِي إِلَى مُدُنٍ أُخرَى . وَأَخيراً بَلَغْنَا ٱلْعَاصِمَةَ ، حَيْثُ تَعِيشُ ٱلْعَائِلَةُ ٱلْمَلَكِيَّةُ .

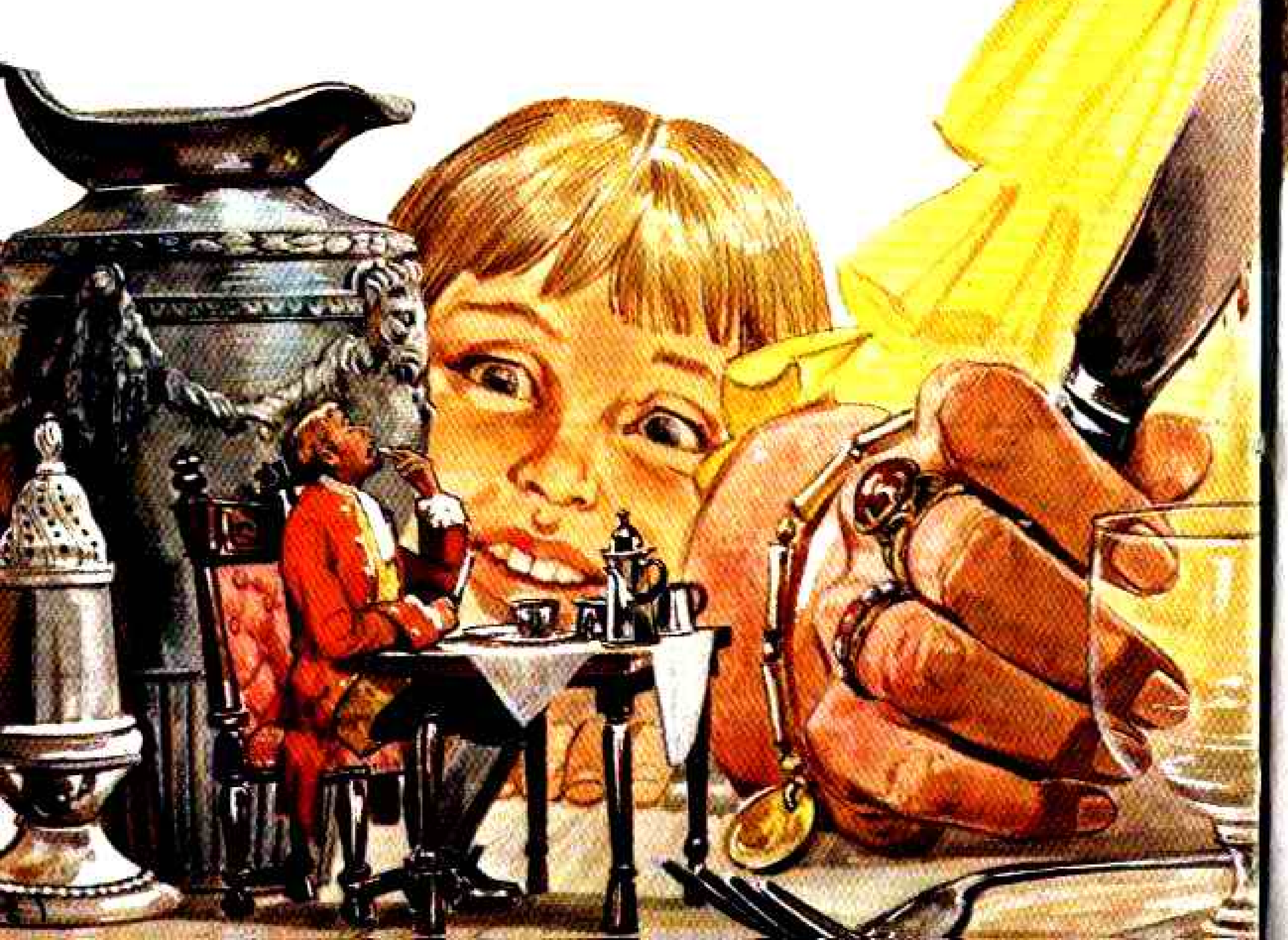
وَقَدْ أُعْجِبَتْ بِي الْمَلِكَةُ أَشَدَّ ٱلإِعجاب فابْتَاعَتْنِي مِنَ الْمُزَارِعِ . وَقَد تَوَسَّلْتُ إِلَيْها أَنْ تُبْقِيَ مُرَبِّيَتِي مَعِي ، فَوافَقَتْ وعادَ الْمُزَارِعُ إِلَى بَيْتِهِ .

وَأَمَرَتِ الْمَلِكَةُ بِصُنْعِ حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ لِي ذَاتِ سَقْفٍ يُرْفَعُ ، وَأَثاثٍ يُناسِبُ حَجْمِي تَماماً . وكانَتِ الْغُرْفَةُ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ أَشْبَهَ بِصُنْدُوقٍ صَغِيرٍ ، تَحُفُّ بِهِ شَرَائِطُ يُحمَلُ بِها . وَأَمَرَتِ الْمَلِكَةُ أَيْضاً أَنْ يُصْنَعَ لِي طَقْمٌ خَاصٌّ مِنَ ٱلأَقْداحِ وَالأَطْباقِ والصُّحُونِ الْفِضِّيَّةِ .

فَكَانَ ذَاكَ بِالنِّسْبَةِ لَهَا أَشْبَهَ بِطَقْمِ شَايٍ لِدُمْيَةٍ صَغِيرَةٍ .

وَكُنْتُ دَائِماً أَتَنَاوَلُ وَجَباتِي عَلَى مَائِدَةٍ صَغِيرَةٍ فَوْقَ مَائِدَةِ الْمَلِكَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُ لَم تَرُقْ لِي الطَّرِيقَةُ الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ بِهَا ٱلمَلِكَةُ . فَقَدْ كَانَتْ تَتَنَاوَلُ قِطْعَةَ ٱلْخُبْزِ فِي حَجْمِ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِنا لُقْمَةً واحِدَةً . وكَانَتْ سِكِّينُ ٱلمائدةِ التي تَسْتَخْدِمُها أَطْوَلَ مِنِّي ، فكُنْتُ أتوجَّسُ خيفَةً من خطَرِ تلكَ ٱلسِّكين .

وَفِي كُلِّ يَوْمِ أَرْبِعاءَ ، وَهُوَ يومُ العُطْلَةِ عِنْدَهُمْ ، كانَ يَأْتِي ٱلْمَلِكُ لِيَتَنَاوَلَ الْغَداءَ مَعَنا . وَكَانَ يُحِبُّ مُحادَثَتِي وَسُؤالِي عَنِ إنْجِلْتِرا وَٱلإنكليز . فقدْ كانَ يُريدُ اكتِشافَ أَوْجُهِ ٱلشَّبَهِ والاختِلافِ بَيْنَنا وَبَيْنَ شَعْبِ دَوْلَتِهِ « بْرُوبْدِينْجْناج » .



وكَانَ الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَمْ أَسْتَطِعْ الانْسِجامَ مَعَهُ هُوَ قَزَمُ الْمَلِكَة. وَهُوَ أَطْوَلُ مِنِّي خَمْسَ مَرَّاتٍ إِذْ يَبْلُغُ طُولُه حَوالَى ٩ أمتار – وَيُعْتَبَرُ قَصِيراً بالنِّسبَةِ لَهُمْ. وكَانَ الْمَلِكُ أَطْوَلَ مِنْهُ بِمَرَّتَيْنِ.

وَدَرَجَ الْقَزَمُ عَلَى أَنْ يُدبِّرَ لِي الْمَكَائِدَ، لِأَنَّ الْمَلِكَةَ كَانَتْ تُفَضِّلُني عَلَيْهِ. وَقَد أَلْقَى بِي ذَاتَ مَرَّةٍ فِي طاسَةِ لَبَن، فَسَبَحْتُ إلى حافَّتِها، وكِدتُ أَغْرَقُ لَولا أن انْتَشَلَتْني مِنْها مُرَبِّيَتي. وَبَلَغَ غَضَبُ الْمَلِكَةِ عَلَيْهِ حَدّاً جَعَلَها تَطْرُدُه.

وَقَد سُرِرْتُ عِنْدَما صَنَعوا لِي قَارِباً صَغِيراً وَوَضَعُوهُ فِي طَسْتِ ماءٍ لأُجَذِّفَ فِيهِ. وَكَانُوا أَحْياناً يُرَكِّبُونَ شِراعاً فِي الْقَارِبِ، ثُمَّ تُثيرُ الْمَلِكَةُ وَوَصِيفاتُها الرياحَ بِمَرَاوِحِهِنَّ، لِيَرَيْنَ كَيْفَ أَتدبَّرُ تَوْجيهَ الْقارِب. وَكُنْتُ أَجِدُ فِي ذلِكَ مُتْعَةً وسَلْوَى.

ولَمْ تكُنِ الْحَياةُ دائماً مُمتِعَةً فِي «بُروبْدِينْجناج»! فقَد اضطُرِرتُ ذَاتَ مَرَّةٍ لِمُقاتَلَةِ بَعْضِ الزَّنابِيرِ بسَيفي لِأَطْرُدَها. وكَانَتْ كَبِيرَةً فِي حَجْمِ الْحَمَامِ، ولَها حُمَّى بِطُولِ إِبْهامي، حادَّةٌ مِثلَ الإِبَرِ. وقَد قَتَلْتُ أَرْبَعَةً مِنْها، وَفَرَّتِ الْبَقِيَّةُ.

وَفِي يوم آخَرَ، انْسَلَّ إِلَى حُجْرَتي قِرْدٌ والْتَقَطَني. وأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَسِبَني قِرْداً رَضِيعاً، لِأَنَّهُ أَمَرَّ كَفَّهُ بِرِقَّةٍ عَلَى وَجْهِي وَهُوَ يُمْسِكُ بِي. وَفَجْأَةً ثَارَتْ ضَجَّةٌ عِنْدَ الْبابِ، فَقَفَزَ الْقِرِدُ مِنَ النَّافِذَةِ، ثُمَّ إِلَى سَطحِ الْبَيْتِ وهو يَحْمِلُني مَعَهُ. فَاضْطُرُّوا إِلَى إِحْضارِ سَلالِمَ خَشَبِيَّةٍ وَصَعِدُوا لِطَرْدِ الْقِرْدِ وأَنزَلُوني سالِماً.



وذاتَ يومٍ كانَ المَلِكُ يَتحدَّثُ إليَّ ، فأَخبَرْتُهُ أنَّ باستِطاعَتي تَعْليمَهُ كَيْفيَّةَ صُنْعِ البارُودِ فيَتمكَّنَ مِنْ كَسْبِ العَديدِ مِنَ الحُروبِ. إلاَّ أنَّ مَلِكَ «برُوبْدِينْجناج» كانَ رَجُلاً حَكيماً جدّاً. فقَد رَدَّ بأنَّهُ لا يُريدُ أنْ يَتعلَّمَ كَيْفَ يَصْنَعُ البارُودَ ، وإنَّهُ يَنْبَغي أَلاَّ أَتَحدَّثَ عَنْ ذلكَ ثانيَةً. وأَضافَ إنَّهُ إذا اسْتَطاعَ إنْسانٌ أنْ يُنمّيَ سُنْبُلَتَيْ قَمحٍ أَوْ وَرقَتَيْ عُشْبٍ ، حَيْثُ كانَتْ تَنْمُو سُنْبُلَةٌ أَوْ وَرَقَةٌ واحِدَةٌ مِنْ قَبْلُ ، فإنَّ ذلكَ أَجْدَى مِن كَسْبِ الحُروبِ.

وبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ قامَ المَلِكُ والمَلِكَةُ والخَدَمُ برِحْلَةٍ طَويلَةٍ إلى إقْليمٍ آخَرَ في «برُوبْدِينْجناج». ورافَقْتُهم أنَا داخِلَ صُنْدوقي. وكانُوا قَدْ عَلَّقُوا لي فيهِ أُرْجُوحَةً شَبَكِيَّةً حَتَّى لا تُضايقَني الارْتِطامَاتُ طَوالَ مَسيرَتِنَا.

وكانَت مُربِّيَتي أَيْضاً بصُحبَتِنَا ، إلاَّ أنَّها أُصيبَتْ ببَرْدٍ شَديدٍ في أَثْناءِ الرِّحلة. وعِنْدَمَا تَوقَّفْنَا أخيراً ، اضطُرَّتْ لمُلازَمَةِ الفِراشِ أَيّاماً قَليلَةً.

وَعَلِمْتُ أَنَّنا كُنَّا قَريبينَ مِنَ البَحْرِ ، فأَعْرَبتُ عَن شَوقي لِمَرآهُ مَرَّةً أُخْرَى. ولَمَّا كانَتْ مُربِّيَتي طَريحَةَ الفِراشِ. فَقَد أَمَرَ أَحَدُ خدَمِ المَلِكَةِ بأَنْ يَحمِلَ صُنْدوقي إلَى شَاطِئِ البَحْرِ.

ورَقَدْتُ في أُرْجُوحَتي الشَّبَكِيَّةِ أَتطَلَّعُ إلى البَحْرِ ، وَغَمَرَني الحُزْنُ حينَ تَذَكَّرْتُ وَطَني وَأَهْلي ، واشْتَدَّ بي حَنينُ العَودَةِ إليهِم.

وكانَ الخادِمُ قَدْ تَرَكَني وذَهَبَ في طَلَبِ بَيْضِ الطُّيورِ ، فاسْتَغْرَقْتُ في النَّوْمِ.



وَاسْتَيْقَظْتُ فَجْأَةً عَلَى نَخْعَةٍ هَزَّتِ الصُّندوقَ وسَمِعْتُ جَلَبَةَ رَفِيفٍ فَوْقِي، وَبَدَأَ صُنْدُوقِي يَرْتَفِعُ إِلَى أَعْلَى بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ. فَصِحْتُ مُنَادِياً عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَلكِنْ ما مِنْ مُجيبٍ.

عِنْدَئِذٍ قَدَّرتُ مَا قَدْ حَدَثَ. فَقَدِ انْقَضَّ طائِرٌ ضَخْمٌ، وَلَعَلَّهُ نَسْرٌ، والْتَقَطَ حَلْقَةَ صُنْدُوقِي بِمِنْقارِهِ، وها إِنِّي أُحَلِّقُ فِي أَجْوازِ الْفَضاءِ!

وَسَرْعَانَ ما بَلَغَ مَسْمَعي صَفيرٌ عالٍ مُتَقَطِّعٌ، كَمَا لَوْ كَانَ النَّسْرُ في عِراكٍ، وفَجْأَةً وجَدْتُني أهْوِي، وبِسُرعَةٍ شَديدَةٍ نَحْوَ الأَرض! وتَوَقَّفَ صُنْدوقِي بارْتِطامٍ قَوِيٍّ مُحْدِثاً تَرْشَاشاً هائِلاً.

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ هَدَأَ رَوْعِي، وَأَطْلَلْتُ مِنَ النَّافِذَةِ، فَرَأَيْتُني في عُرْضِ الْبَحْرِ!

وجَذَبْتُ باباً صَغيراً في سَقْفِ صُندُوقِي لِأَتَنَشَّقَ بَعْضَ الْهَواءِ المُنْعِشِ.



ثُمَّ أَخَذْتُ أَصْرُخُ طَالِباً النَّجْدَةَ، ولكِنْ لَمْ يَسْمَعْنِي أَحَدٌ. لَكَمْ وَدَدْتُ أَنْ تَكُونَ مُرَبِّيَتِي مَعِي!

وَأَخْرَجْتُ مِنْدِيلِي ورَبَطْتُهُ بِطَرَفِ عَصايَ وصَعِدْتُ فَوْقَ مَقْعَدٍ، ودَفَعْتُ رايَتِي مِنْ خِلالِ الْبابِ الصَّغيرِ فِي أَعْلَى الصُّندوقِ، وأَخذتُ أُلَوِّحُ بِها إِلَى الأَمامِ وَإِلَى الْخَلْفِ وأَنا أَصِيحُ فِي طَلَبِ النَّجْدَةِ ثانِيَةً. ولَمْ يَأْتِ هذا أيضاً بِنَتيجَةٍ، فَاسْتَسْلَمْتُ لِقَدَري، وَاعْتَبَرْتُ أَنِّي مَفْقُودٌ لا مَحالَةَ.

وَجَلَسْتُ يائساً فَاقِدَ الْأَمَلِ مُدَّةً طَوِيلَةً. وفَجْأَةً شَعَرتُ، وأنا أُحَدِّقُ مِنْ خِلاَلِ النَّافِذَةِ، أنَّ صُنْدُوقِي يَنْجَذِبُ بِاتِّجاهٍ مُعَيَّن.

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ تَوَقَّفَ سَيْرُ الصُّندوق. وسَمِعتُ صَليلاً فَوْقَ رَأْسِي كَصَلِيلِ جِنْزِيرٍ يُحَرَّرُ مِنَ الْحَلْقَةِ في أَعْلَى الصُّنْدُوقِ. فَدَفَعْتُ بِرَايَتِي مُجَدَّداً مِنَ الْبابِ السَّقفي الصغير، ورُحْتُ أصيحُ طَالِباً النَّجْدَةَ.

وَمَا كَانَ أَشَدَّ بَهْجَتِي في هَذِهِ الْمَرَّةِ، حِينَما اسْتَجابَ لِاسْتِغاثَتِي شَخْصٌ يَتكَلَّمُ الإِنْجليزيَّةَ فَتَوسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُنْقِذَنِي مِن مأزِقي. فَطَمْأَنَنِي الْمُتَحَدِّثُ قائِلاً إنَّني بِمَأْمَنٍ، وَإِنَّ صُنْدُوقِي مَرْبُوطٌ إلى جانِبِ سَفِينَتِهِ. وإنَّه سَيَبْعَثُ بِرَجُلٍ لِيُحْدِثَ فَجْوَةً في الصُّندوقِ ويُخرِجَني.

وَسَرْعانَ مَا تَمَّ ذلك، وَبِمُسَاعَدَةِ سُلَّمٍ خَشَبِيٍّ وأيادٍ عَدِيدَةٍ مُتَحَمِّسَةٍ انْتُشِلْتُ إِلَى أَعْلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ.

لَقَدْ كَانَت السَّفِينَةُ إِنْجلِيزِيَّةً، وَعَلَيْها بَحَّارَةٌ إِنْجلِيز - لَيْسُوا عَمالِقَةً، ولا أَقْزاماً، بَلْ أُناساً في مِثْلِ حَجْمِي!



وَسَأَلَنِي الْبَحَّارَةُ عَنْ سَبَبِ وُجودِي داخِلَ الصُّنْدُوقِ، فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقِصَّتِي. وَلكِنَّهُم لَمْ يُصَدِّقُونِي. وقَدْ ظَنَّ الرُّبَّانُ بَادِئَ الْأَمْرِ أَنَّنِي حُبِسْتُ فِي الصُّنْدُوقِ لِارْتِكابِي فَعْلَةً شَنْعاءَ. وَلَمَّا حَدَّثْتُهُ عَنْ أَهَالِي «بْرُوبْدِينْجنَاج»، لَمْ يُصَدِّقْنِي أَيْضاً.

ثُمَّ أَرَيْتُهُ خَاتَماً ذَهَبِيّاً كَانَت الْمَلِكَةُ قَدْ أَعْطَتْنِي إِيَّاهُ – وكَانَ ضَخْماً حَتَّى إِنِّي لَبِسْتُه حَوْلَ عُنُقِي كالطَّوقِ. وَأَعْطَيْتُهُ أيضاً سِنَّ عِمْلاقٍ كَانَ طَبِيبُ أَسْنَانٍ مِنْ «بْرُوبْدِينْجناج» قَدْ خَلَعَهَا خَطَأً. وكَانَتْ فِي حَجْمِ زُجَاجَةِ لَبَنٍ!

وَأَخيراً صَدَّقَنِي الرُّبَّان ،ووَعَدَ أَنَّهُ سَيَعُودُ بِي معَهُ إِلى انْجلِترا.

وَبَعْدَ أَسَابِيعَ عَدِيدَةٍ وَصَلَتْ بنا السَّفِينَةُ أَرضَ الوطن فحَمَدْتُ البارِي على سَلامَتِي. وَحين غادَرْتُ السَّفِينَةَ ونَزَلْتُ إِلَى الْبَرِّ، بَدَتِ الْبُيُوتُ وَالنَّاسُ جَمِيعاً صِغَاراً في عَيْنَيَّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّنِي في «لِيلِيبُوت» مَرَّةً ثَانِيَةً. وَعِندَمَا سَمِعَتْ زَوْجَتِي بِكُلِّ المَخَاطِرِ الَّتِي تَعَرَّضْتُ لَهَا، أَصَرَّت ألاَّ أَعُودَ إِلَى رُكُوبِ الْبَحْرِ أَبَداً.


بروبدنجناج
جوناثان سويفت ١٦٦٧ - ١٧٤٥
B
G
D
F
A